

الحمد لله الذي شرع الأدب وعلمناه ، وآتى الحكمة وأورثناها ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آل بيته ومن انتهج هجته إلى يوم يبعثون وسلم تسليمًا كثيرًا مزيدًا ، (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون).

عباد الله: إن من هداية القرآن للتي هي أقوم أنه لم يترك جليلاً ولا دقيقاً مما يتعلّق بحاجيات التعامل بين الناس إلا هدى فيه وأرشد وقوم وسدّد ، ومن هذه الهدايات القرآنية حديث القرآن عن بيوت المسلمين وحُرمتها والطريق الشرعي الأمثل في الدخول إليها ، فهذه البيوت التي نسكنها ساترة عوراتنا وموارية سوءاتنا وحاجة أصواتنا وذواتنا ومشاكلنا وأسرارنا عن الناظرين هي منة لا فضل فيها لغير الله تعالى ، ولذلك امتنّ الله علينا بما في محكم كتابه فقال (والله جعل لكم من بيوتكم سكناً) ولما كان ستر الخصوصية وحفظ العورات من أهم مقاصد السكن أحاط الله بيوت المسلمين بسياج عظيم من الحرمة لا يخترقه إلا الأردلون المتعدون حدود الله المتعرضون لسخط الله وسوف يُنبتهم الله بما كانوا يصنعون ، قال الله تعالى مؤدباً للعباد (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) ففي هذه الآية دلالة صريحة على أن دخول الإنسان لبيوت الناس من غير أن يأذنوا له فعل محرّم مقبوح ، وفيها وجوب طلب الإذن من أهل البيت وهو المعبر عنه بقوله تعالى (حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا) يعني حتى تستأذنوا ، والاستئذان المجمعل في هذه الآية القرآنية شرحته السنة النبوية تفصيلاً كما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه في الحديث المتفق على صحته قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « الْإِسْتِذَانُ ثَلَاثٌ فَإِنْ أُذِنَ لَكَ فَادْخُلْ وَإِلَّا فَارْجِعْ »

والسنة لمن استأذن ثلاثاً ولم يجد إذناً بالدخول أن ينصرف راشداً ولا يسمح للشيطان والأمانة بالسوء أن يزرعها الأحقاد والظنون السيئة في قلبه ، فكم من عذر لا يطلع عليه الطارق والزائر ، وكم من حال خاصة لا يتمكن فيها أحدنا من استقبال الضيوف وكم وكم ، ولو لم يكن في الرجوع بعد الثلاث مرات من فضل إلا امتثال أمر النبي صلى الله عليه وسلم وفعله لكفاك ذلك شرفاً وفضلاً ، فقد استأذن النبي صلى الله عليه وسلم على بعض صحابته ولم يؤذن له وهو أكرم زائر ومزور وأحب الخلق إلى الله وإلى الناس ومع ذلك

لم ينهر ولم يكهر ولم يُسئ ظناً بصاحبه يقول أبو سعيد رضي الله عنه خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يريد سعد بن عبادة حتى أتاه، فسلم، فلم يؤذن له، ثم سلم الثانية، ثم الثالثة، فلم يؤذن له، فقال: "قضينا ما علينا"، ثم رجع. فأدركه سعد، فقال: يا رسول الله! والذي بعثك بالحق ما سلمت من مرة إلا وأنا أسمع؛ وأرد عليك، ولكن أحببت أن تكثر من السلام علي وعلى أهل بيتي) فتأمل رحمك الله خُلِقَ النَّبُوءَةُ في قوله صلى الله عليه وسلم (قضينا ما علينا) فإن كنتَ أيها المسلمُ زائراً مريضاً أو واصلاً رحماً ولم يُؤذن لك فلا تحزن ولا تبتس فأنت على ما تحبُّ من الثواب بإذن الله فقد كتب الله أجركَ وشكرَ سعيك وأثبت لك خُطاك.

عباد الله: إنَّ هذا الأدبَ الإسلاميَّ الرفيعَ حصانةً شرعيةً أثبتها الله لكل أهل بيتٍ ليعلمَ المسلمونَ وغيرهم كم هي حُرْمَةُ العورات عند الله تعالى ، ولنعلم نحن اليومَ أنَّ ما يُرادُ لنا من اعتيادِ مشاهدة العوراتِ وطرحِ الثيابِ في مجامع النَّاسِ وأسواقهم تحت الذرائع الشيطانية الواهية كلُّ ذلك إنما هو خروجٌ على الفطرة والدين ، ولكنَّ أكثر الناسِ لا يعلمون.

إنَّ استئذانَ الزائرِ على أهل البيت له حكمةٌ شرعيةٌ ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم كما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنَّ رجلاً اطلعَ من جُحرٍ في حُجرِ النَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم - ومَعَ النَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم - مِدْرَى يَحْكُ بِهِ رَأْسَهُ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُ؛ لَطَعْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ، إِنَّمَا جُعِلَ الاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ » وتأمَّلْ مقالةَ النبي صلى الله عليه وسلم الزاجرة (لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُ؛ لَطَعْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ) مع أنَّ الصحابيَّ إنما وقعت عينه على رجلٍ يحكُّ رأسَهُ ، فمن باب أولى أن تشتدَّ الحُرْمَةُ ويُضاعفَ الإثمُ إن تطلعَ أحدنا على رجلٍ كاشفٍ عورته أو مضاجعٍ أهله أو على حالٍ يسوءه فيها نظرُ الغير إليه.

عباد الله: لقد التزمَ صحابةُ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم هذه الآدابَ منهجَ حياةٍ لا حيدةَ عنه ولا تراجعَ حتى اعتادوه وألفوه ، ذلك أنَّ أبا موسى استأذَنَ عَلَى عُمَرَ رضي الله عنهما ثلاثاً فكأنَّه وجدَهُ مَشْغُولاً فَرَجَعَ فَقَالَ عُمَرُ أَلَمْ تَسْمَعْ صَوْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ انذُوبُوا لَهُ فَدَعَى لَهُ وَقَدْ قَفَلَ راجعاً فَقَالَ عُمَرُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ قَالَ أَبُو مُوسَى إِنَّا كُنَّا نُوْمِرُ بِهَذَا ، قَالَ عُمَرُ مُهَدِّدًا لِنَقِيمَنَّ عَلَى هَذَا بَيْنَهُ أَوْ لِأَفْعَلَنَّ كَذَا فَخَرَجَ فَانْطَلَقَ إِلَى مَجْلِسِ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالُوا لَا يَشْهَدُ لَكَ عَلَى هَذَا إِلَّا أَصْغَرْنَا أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِي فلما شهد له بين يدي عُمَرَ قال في

تواضع العلماء وتترل العُظماء وتبسُّط الأئمة الهداة الحنفاء قال: خَفِيَ عَلَيَّ هَذَا مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَلْهَانِي عَنْهُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ ، يعني التجارة ، وبعضُ أدعياءِ العلمِ اليومَ اشتغلوا بعلومٍ بعيدةٍ كُلِّ البُعْدِ عن شريعةِ الله ولم يُعرف لأحدهم مجلسٌ بين يدي عالمٍ ولا حظٌّ له في العلمِ إلا البحثُ في النصوصِ الشرعيةِ التي لا يميّزُ بين الناسخِ منها والمنسوخِ والمتقدمِ منها والمتأخرِ ، ثم لا يستحي من الله ومن النَّاسِ حين يفاجئهم بما لم يعهدوه من أحكامٍ هداةٍ إليها الجهلُ وعدمُ الخبرةِ في التعاملِ مع النصوصِ الشرعيةِ ، فما لهؤلاء القومِ؟ أيترفعونَ عن مقالةِ عُمرِ رضي الله عنها (خَفِيَ عَلَيَّ هَذَا مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَلْهَانِي عَنْهُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ) يقولُ ذلكَ رضي الله عنه وهو ثاني الخلقاءِ والعلماءِ والحنفاءِ من هذه الأمة ، يقولُ ذلكَ وهو المُلهمُ المُحدِّثُ الذي أوتي من الفهمِ ما جعلَ رأيه يوافقُ التشريعَ عدةَ مراتٍ ، فلماذا لا يعرفُ بعضُنَا قدره قبل أن يهرفَ بما لا يعرفُ ويُقحمَ نفسه في بحورٍ متلاطمةٍ من المسائلِ التي شابتُ في تقريرها نواصي العلماء ، لكن (ومن يُرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً).

وعوداً على أدبِ الداخلِ للبيوتِ عبادِ الله فَإِنَّ الصِّيغَةَ النبويةَ عند الاستئذانِ هي أن يُسلمَ الداخلُ على أهلِ البيتِ ويطلبُ إذنه بالدخولِ فيجمعُ بين السلامِ إيناساً لأهلِ البيتِ وطمأننةً لهم وبين الاستئذانِ حفظاً لسيادتهم فيقول: السلامُ عليكم أَدْخُلُ ، فَإِنْ أذْنَا لَهُ دَخَلَ وَإِنْ أَمْرُوهُ بِالرَّجُوعِ وَجِبَ عَلَيْهِ ذَلِكَ كَمَا قَالَ تَعَالَى (وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) ، ومن السُّنَّةِ كذلكُ أن تُعلمَ بعضُنَا بعضاً هذا الأدبَ الإسلاميَّ والكمالَ في العملِ به فَإِنَّ رَجُلًا من الصحابةِ أنه استأذَنَ على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيتٍ ، فقال: أَلِجْ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم (أخرج إلى هذا **فعلمه الاستئذان** ، فقل له : قل : السلام عليكم أَدْخُلُ).

وعلى من طرَقَ بابَ أحدٍ من النَّاسِ أن يُفصحَ عن اسمه لا أن يُموهَ ويستغلَّ الأطفالَ والخدمَ في الإحاطةِ بحالِ أهلِ البيتِ مع إخفاءِ نفسه عنهم ، ففي المُتفقِ عليه عن جَابِرٍ - رضي الله عنه - قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دَيْنٍ كَانَ عَلَيَّ أَبِي فَدَقَّقْتُ الْبَابَ فَقَالَ « مَنْ ذَا » . فَقُلْتُ أَنَا . فَقَالَ « أَنَا أَنَا » . كَأَنَّهُ كَرِهَهَا ، وهذا صَنِيعُ فئامٍ من النَّاسِ اليومَ ، ولربما وجد أحدهم طفلاً غافلاً أو خادماً غافلاً فاستفصلَ منه عن كل شيءٍ ويمتنعُ عن ذكرِ اسمه والتعريفِ بنفسه لأهلِ البيتِ ، وهذا تعدُّ واضحٌ على حُرُماتِ المؤمنين ، ومن لم يتحصَّلَ لأهلِ البيتِ معرفتهُ باسمه فلا بأسَ أن يضيفَ إلى اسمه ما يُعرفُ به كقوله أنا الطبيبُ فلانُ أو جارِكُم

الفلاحي أو بائع كذا ، والأصل في ذلك فعل أم هانئ حين استأذنت فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (من هذه ؟ فقالت : أنا أم هانئ).

والنساء الحارم من أمهات وأخوات وبنات مغلظة عوراتهم ومحترمة خلواتهم فلا يجزئ للأب والأخ والابن أن يدخل غرفهن إلا بعد الاستئذان عليهن وإن كن محارماً له فقد سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (استأذن على أمي) فقال نعم قال الرجل (إني معها في البيت) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (استأذن عليها) فقال الرجل (إني خادمها) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (استأذن عليها أتحب أن تراها عريانة) قال (لا) قال (فاستأذن عليها) ، وفي الصحيح عن عطاء قال: سألت ابن عباس، فقلت: أستأذن على أختي؟ فقال: "نعم". فأعدت، فقلت: أختان في حجري، وأنا أمونهما، وأنفق عليهما، أستأذن عليهما؟ قال: "نعم، أتحب أن تراهما عريانتين؟!)" ثم قال رضي الله عنه (فالإذن واجب، على الناس كلهم).

ومن درس كتاب الله وجد هذا الأدب الإسلامي يتعدى حدود خصوصيات السكّان وعوراتهم المحرمة المحترمة إلى السلام عند دخول المنازل الخالية التي لا سكّان فيها قال تعالى: (إذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة) ، عن عبد الله بن عمر قال: "إذا دخل البيت غير المسكون، فليقل: السلام علينا، وعلى عباد الله الصالحين".

عباد الله: إن الاستئذان ضرورة ملحة في التعاملات العصرية اليوم مع الهواتف النقالة وأجهزة الحاسب وغيرها من المقتنيات الشخصية فإذا نفعت أخوك المسلم بشيء من هذه الأجهزة فاطّلعك على المحتويات من رسائل وصور وأرقام خيانة قبيحة وشاهد عدل على لؤم الطبيعة ودناءة النفس.

وكذلك تسجيل المكالمات وتصوير الجالسين وغير ذلك مما تختلف فيه رغبات الناس وتقبلهم له لا يجوز بغير استئذان لما فيه من انتهاك الخصوصية ، والمرء إذا علم بأئمه مصور وكلامه مسجل كان على هيئة متحفظة تختلف عن جبلته الطبيعية ، فلذا وجب إخباره واستئذانه.

أيها المسلم المتخلق بأخلاق الإسلام: ما من باب تطرفه إلا اضطرت فيه لاستئذان أو وجدت عليه حرساً وحجّاباً ، إلا باباً واحداً هو باب الله تعالى باب التوبة وباب الدعاء والمسألة مفتوح لكل راغب ومتاح لكل قاصد وطالب فاغتنم فرصته قبل أن يحال بينك وبينه فخزائنه ملامى ويد الله ملامى لا تغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، وهو يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها.